والغاية المرادة من عرض السنة النبوية، هو إظهار التعارض بين الحديث والقرآن، سواء توافقا أم تخالفا، فإن النتيجة هي المخالفة والرد، قال جعفر السبحاني-مبينا الغرض من عرض الحديث على القرآن-: "والمراد من عرض الحديث على الكتاب عند الشيعة، هو إحراز المخالفة لا الموافقة؛ إذ ليست الثانية شرطاً في حجية الحديث، وإنما المخالفة مسقطة له عن الحجية"(١).

والخلاصة مما سبق، يتبين أن الشيعة ينكرون السنة النبوية إنكاراً مطلقاً، وهم سلف للقرآنيين(منكري السنة الجدد)، وكل من طعن في السنة يأتي عن طريقهم، ويأخذ من معينهم ويتشرب شبهاتهم، وبعد ذلك ينفث سمومه حول السنة النبوية، قال السيوطي(٢)رحمه الله: " وأصل هَذَا الرَّأْي الْفَاسِد أَن الزَّنَادِقَة وَطَائِفَة من غلاة الرافضة ذَهَبُوا إِلَى إِنْكَار الِاحْتِجَاج بِالسنةِ والاقتصار على الْقُرْآن،...، فبنوا على ذَلِك رد الْأَحَادِيث كلهَا؛ لِأَنَّهَا عِنْدهم بزعمهم من رِوَايَة قوم كفار. فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون"(٣).

ثالثاً: المعتزلة.

تعريف المعتزلة في اللغة.

قال ابن فارس(٤): "الْعَيْنُ وَالزَّاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَنْحِيَةٍ وَإِمَالَةٍ،

---

(١) شبهة عرض السنة على القرآن عرض ونقد، مرجع سابق، ص٧٨-٧٩.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) مفتاح الجنة للاحتجاج بالسنة، ص ٦.

(٤) سبق التعريف به.

تَقُولُ: عَزَلَ الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ يَعْزِلُهُ، إِذَا نَحَّاهُ فِي جَانِبٍ. وَهُوَ بِمَعْزِلٍ وَفِي مَعْزِلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَيْ فِي نَاحِيَةٍ عَنْهُمْ. وَالْعُزْلَةُ: الِاعْتِزَالُ"[١].

وقال الخليل[٢]: "عزل: عزلت الشيء نحيّته، ورأيته في معزل، أي في ناحية عن القوم معتزلاً،

وأنا بمعزل منه، أي: قد اعتزلته. والعُزْلة: الاعتزال نفسه"[٣].

ومن خلال النظر في المدلولات اللغوية لكلمة عزل، يتبين لنا: أن الاعتزال، كلمة تدل على: الانفراد، والتنحي، والعزلة، والإمالة.

التعريف الاصطلاحي:

قال نشوان الحميري[٤]: "والمعتزلة: فرقة من فرق الإسلام. قيل: سموا معتزلة

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (٣٠٧/٤).

(٢) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، أبو عبد الرحمن، إمام العربية: ولد بالبصرة، سنة(١٠٠هـ)، وتوفي بها، سنة (١٧٠هـ)، كان من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحويّ، له كتب، منها: العين، كتاب العروض،. . . ، وغيرهما. ينظر: أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ص٣١، إنباه الرواة على أنباه النحاة، (٣٧٦/١)، البلغة في ترجمة أئمة النحو واللغة، الفيروز آبادي، ص١٣٣، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (٥٥٧/١).

(٣) العين، الخليل بن أحمد، (٣٥٣/١).

(٤) نشوان بن سعيد بن نشوان، أبو سعيد الحميري اليمني الأمير العلامة: كان فقيهًا عارفاً باللغة والنحو والتاريخ، وسائر فنون الأدب، له تصانيف أجلها شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، في اللغة، مات في ذي الحجة سنة (٥٧٣هـ).ينظر: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، =

لاعتزالهم مجلس الحسن بن أبي الحسن البصري[١]، ومتولي اعتزاله منهم عمرو بن عبيد[٢]. وقيل: وهو الصحيح، إنما سموا معتزلة لقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، واعتزالهم قولَ الخوارج أن قاطع الصلاة كافر، وقولَ المرجئة[٣]: إنه مؤمن، فقالت المعتزلة: إنه فاسق"[٤].

وقال د. غالب العواجي: "المعتزلة اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين ١٠٥ -٥١١٠، بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء الغزال[٥]"[٦].

=

ياقوت الحموي، (٦/ ٢٧٤٥)، البلغة في تراجم النحو واللغة، ص٣٠٣، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، (٢/ ٣١٢).

(١) سبق التعريف به.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) المرجئة: سموا مرجئة لقولهم بالإرجاء، وأصل الإرجاء التأخير، فهم الذين يؤخرون العمل عن الإيمان، وأكثرهم يرون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ويقولون: إن أهل القبلة لن يدخلوا النار مهما ارتكبوا من المعاصي، ومجمل معتقدهم: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر عمل، وهو خلاف ما عليه معتقد أهل السنة والجماعة. ينظر: التبصير في الدين، ص٩٧، الملل والنحل، (١٣٨/١)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، ص٣٣.

(٤) شمس العلوم، (٤٥٢٠/٧)، وينظر: الحور العين، ص٢٥٨.

(٥) واصل بن عطاء الغزّال، أبو حذيفة، ولد بالمدينة، سنة(٨٠ه)، كان رأس المعتزلة. وناشر الاعتزال، كان أحد البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره، وله من التصانيف: أصناف المرجئة، كتاب التوبة، معاني القرآن. توفي سنة(١٣١ه). ينظر: وفيات الأعيان، (٧/٦)، سير أعلام النبلاء، (٤٦٤/٥)، نزهة الألباب في الألقاب، ابن حجر (٥٠/٢).

(٦) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، (١١٦٣/٣).

وعرفها د. ناصر العقل، بقوله: "فرقة عقلانية كلامية فلسفية، تتكون من طوائف من أهل الكلام الذين خلطوا بين الشرعيات والفلسفة والعقليات في كثير من مسائل العقيدة، وقد خرجت المعتزلة عن السنة والجماعة في مصادر التلقي، ومناهج الاستدلال، ومنهج تقرير العقيدة، وفي أصول الاعتقاد، وتجمعهم غالباً الأصول الخمسة"(١).

موقف المعتزلة من السنة النبوية.

لما كان موقف المعتزلة من السنة يتوقف على معرفة موقفهم من الصحابة، فإننا نبدأ بالتعرف على موقفهم من الصحابة ﷺ.

موقفهم من الصحابة.

إن موقف المعتزلة من الصحابة كان شديداً، وطعونهم عليهم كانت كبيرة، فلم يسلم منهم كبار الصحابة، فضلاً عن صغارهم، فقد نالوا من أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهم جميعاً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمعتزلة-أيضاً- تفسق من الصحابة والتابعين طوائف، وتطعن في كثير منهم، وفيما رووه من الأحاديث التي تخالف آراءهم وأهواءهم، بل تكفر-أيضاً-من يخالف أصولهم التي انتحلوها من السلف والخلف"(٢)، وسوف نوجز أقوالهم عن الصحابة في الأسطر الآتية:

---

(١) الجهمية والمعتزلة، د. ناصر العقل، ص١٢٧.

(٢) مجموع الفتاوى، (١٥٤/٤).

فهذ النظام[١]-من أئمة الاعتزال- يتكلم على كثير من أصحاب رسول الله ﷺ وينتقد اجتهادهم، فيقول عن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه عندما: "ذكر قول أبي بكر-رضي الله تعالى عنه- حين سئل عن آية من كتاب الله-تعالى، فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، أم أين أذهب، أم كيف أصنع، إذا أنا قلت في آية من كتاب الله-تعالى- بغير ما أراد الله، ثم سئل عن الكلالة، فقال: أقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني، هي ما دون الولد والوالد. قال: وهذا خلاف القول الأول، ومن استعظم القول بالرأي ذلك الاستعظام لم يقدم على القول بالرأي هذا الإقدام حتى ينفذ عليه الأحكام"[٢].

ويقول عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنه شك يوم الحديبية، وشك يوم وفاة النبي ﷺ وأنه كان فيمن نفر بالنبي عليه السلام ليلة العقبة، وأنه ضرب فاطمة، ومنع ميراث العترة، وأنكر عليه تغريب نصر بن حجاج[٣] من المدينة الى البصرة، وزعم أنه ابتدع صلاة التراويح، ونهى عن متعة الحج،....،"[٤].

ويقول عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: "إن عثمان لم يكن صاحب سنة"[٥].

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ص٢٠.

(٣) نصر بن حجاج بن علاط (بكسر العين وتخفيف اللام) السلمي ثم البهزي، من أولاد الصحابة: من أهل المدينة، كان شاعراً جميلاً. نفاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى البصرة لما رأى من فتنة النساء به. ينظر: الوافي بالوفيات، (٣٨/٢٧)، الإصابة في تمييز الصحابة، (٣٨٢/٦)، المؤتلف والمختلف، الدار قطني، (٢٢٠٥/٤).

(٤) الفرق بين الفرق، ص١٣٣.

(٥) تاريخ بغداد، (٦٣/١٤)، الاعتصام، الشاطبي، (٢٠٩/١).

وزعم النظام، أن راوية الإسلام أبا هريرة كذاب، وانتقد كل من أخذ أو روى عنه، قال البغدادي، وهو يعدد فضائح النظام، الفضيحة الحادية والعشرون من فضائحه، ثم قال: "ثم إن النظام-مع ضلالاته التي حكيناها عنه-طعن في أخيار الصحابة والتابعين من أجل فتاويهم بالاجتهاد، فذكر الجاحظ عنه في كتاب (المعارف) وفى كتابه المعروف بـــ (الفتيا) أنه عاب أصحاب الحديث ورواياتهم أحاديث أبي هريرة-رضي الله عنهم، وزعم أن أبا هريرة كان أكذب الناس"[(١)].

ومن طوام أهل الاعتزال-أيضاً- شتم الصحابة، والطعن فيهم، واتهامهم بالكذب، وغيرها من الموبقات، فقد نقل الذهبي[(٢)] أن عمرَ بن عبيد كان يشتم الصحابةﷺ[(٣)]، ونقل عنه-أيضاً- أنه شتم الصحابي الجليل سمرة بن جندب[(٤)]ﷺ وذلك عندما روي عنه حديثان في السكتتين[(٥)] في الصلاة يخالف رأيه، فقال فيه: "ما أرجو بسمرة، فعل الله بسمرة"، وفي رواية أخرى: "ما

---

(١) الفرق بين الفرق، ص١٣٣.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) ميزان الاعتدال، (٣/ ٢٧٤).

(٤) سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبِ بْنِ هِلالِ بْنِ حَرِيجٍ، وكان له حلف في الأنصار وصحب النبي ﷺ وكان زياد بن أبي سفيان يستعمله على البصرة إذا قدم الكوفة، توفي سنة (٥٥٩). ينظر: الطبقات الكبرى، (١٠٨/٦)، معجم الصحابة، ابن قانع، (٣٠٥/١)، مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان، ص٦٧.

(٥) حديث سمرة بن جندب ﷺ قال: "سكتتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ...إذا دخل في صلاته، وإذا فرغ من القراءة..." رواه الترمذي وحسنه برقم (٢٥١) (٢/ ٣٠ ــ ٣١)، وغيره.

نصنع بسمرة قبح الله سمرة"[١].

والناظر فيما ورد عن أئمة الاعتزال يجد أنهم لا يقدرون صحابة رسول الله ﷺ ولا يعطونهم منزلتهم التي أنزلهم الله-تعالى-ورسوله الكريم، فكان لفكرهم المنحرف الأثر الظاهر في التعامل مع هؤلاء الصفوة الكرام، فسلطوا ألسنتهم عليهم، ما بين منتقد، أو شاك، أو عايب أمر من الأمور عليهم، أو تقبيحهم- وحاشاهم عن كل قبيحة- ورد ما رووه من أحاديث والانتقاص من علمهم وفضلهم.

وخلاصة موقف المعتزلة من الصحابة، كما قال الدكتور مصطفى السباعي: "ومنه نرى أن المعتزلة ما بين شاك بعدالة الصحابة منذ عهد الفتنة كـ (واصل)، وما بين موقن بفسقهم كـ (عمرو بن عبيد)، وما بين طاعن في أعلامهم، متهم لهم بالكذب والجهل والنفاق كـ (النظّام)، وذلك يوجب ردهم للأحاديث التي جاءت عن طريق هؤلاء الصحابة بناء على رأي واصل، وعمرو، ومن تبعهما"[٢].

موقفهم من السنة:

قد كان لمعتقد المعتزلة في الصحابة ومحاولتهم المستمرة في التشكيك والطعن في عدالتهم أثر كبير في تبنيهم لمواقف خطيرة حول السنة النبوية، حيث ردوا كثيراً من الأحاديث وردت بنصوص صحيحة بلغ بعضها حد التواتر، وأنكروا

---

(١) تاريخ بغداد، (١٢/١٧٣).

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص١٦١.

أموراً معلومة من الدين بالضرورة، وأشياء اختص بها النبي ﷺ وغيرها، قال الإسفراييني[١]، وهو يتحدث عن فضائح المعتزلة: "ثم زادوا على هذا ما هو أفضح منه، فأنكروا من مفاخر رَسُول الله ﷺ مَا كَانَ مُخْتَصًّا بِهِ زَائِداً على الْأَنْبِيَاء، كوجود الْمِعْرَاج، وَثُبُوت الشَّفَاعَة لَهُ يَوْم الْقِيَامَة، وَوُجُود حَوْض الْكَوْثَر، وأنكروا مَا ورد فِي هَذِه الْأَبْوَاب من الْآثَار وَالْأَخْبَار، وأنكروا عَذَاب الْقَبْر أَيْضاً"[٢].

ولم يتوقف ردهم للأحاديث على نوع من أنواعه دون آخر، فقد ردوا الأحاديث المتواترة[٣]

كما ردوا أحاديث الآحاد[٤]، فقد جوزوا وقوع الكذب في الخبر المتواتر،

---

(١) طَاهِرُ بنُ مُحَمَّدٍ الإِسفرَايِينيّ، ثُمَّ الطُّوْسِيُّ الشَّافِعِيُّ، الأصولي المفسر، كَانَ أَحَدُ الأَعْلاَمِ. توفي بطوس، (٤٧١هـ)، له مصنفات، منها: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. ينظر: سير أعلام النبلاء، (١٨/٤٠١)، طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، (١/٢٤٥).

(٢) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني، ص٦٦، ٦٧.

(٣) الحديث المتواتر: عرفه الخطيب البغدادي، بقوله: "فأما خبر المتواتر: فهو ما يخبر به القوم الذين يبلغ عددهم حداً يعلم عند مشاهدتهم بمستقر العادة، أن اتفاق الكذب منهم محال، وأن التواطؤ منهم في مقدار الوقت الذي انتشر الخبر عنهم فيه متعذر، وإنما أخبروا عنه لا يجوز دخول اللبس والشبهة في مثله، وأن أسباب القهر والغلبة والأمور الداعية إلى الكذب منتفية عنهم، فمتى تواتر الخبر عن قوم هذه سبيلهم قطع على صدقه، وأوجب وقوع العلم ضرورة". الكفاية في علم الرواية، ص١٦.

(٤) الحديث الآحاد: هو ما لم تجتمع فيه شروط المتواتر، فيشمل ما رواه واحد في طبقة أو في جميع الطبقات، وما رواه اثنان، وما رواه ثلاثة فصاعداً ما لم يصل إلى عدد التواتر. الوسيط في علوم =

رغم خروج ناقليه عند سماع الخبر عن الحصر، ومع اختلاف همم الناقلين، واختلاف دواعيهم يجوز أن يقع الكذب[١]، وقالوا: يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ، فإن الأخبار المتواترة لا حجة فيها؛ لأنها يجوز أن يكون وقوعها كذباً. فطعنوا في الصحابة....[٢].

وقال أبو الهذيل[٣]: "الحجة لا تقوم فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء-عليهم السلام- وفيما سواها، إلا بخبر عشرين فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر، ولا تخلو الأرض عن جماعة هم أولياء الله: معصومون لا يكذبون، ولا يرتكبون الكبائر، فهم الحجة، لا المتواتر، إذ يجوز أن يكذب جماعة ممن لا يحصون عدداً إذا لم يكونوا أولياء الله، ولم يكن فيهم واحد معصوم"[٤].

وفي إنكارهم للمتواتر واشتراطهم-لثبوت الخبر- أن يكون أحد رواته من أهل الجنة، تعطيل للأخبار الواردة في الأحكام الشرعية، وبذلك يتفصون من

=

ومصطلح الحديث، د. محمد أبو شهبة، ص١٩٨.

(١) الفرق بين الفرق، ص١٢٨.

(٢) أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، ص٢٥.

(٣) محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبديّ، مولى عبد القيس، أبو الهذيل العلاف: ولد في البصرة، سنة(١٣٥هـ)، وتوفي بسامراء سنة(٢٣٥هـ). كان شيخ البصريين في الاعتزال. ينظر: وفيات الأعيان، (٢٦٥/٤)، المقتنى في سرد الكنى، الذهبي، (١٢٤/٢)، لسان الميزان، (٤١٣/٥).

(٤) الفرق بين الفرق، ص١٢٩، الملل والنحل، (٥٣/١).

الأوامر والنواهي، ويتحللون من الشريعة تماماً[١].

ومن جهة أخرى، إذا كان المعتزلة قد جوزوا وقع الكذب في الأخبار المتواتر، فتجويزهم لها في خبر الآحاد من باب أولى، وهم بذلك يهدمون الشريعة، ويعطلون أحكامها، والمعتزلة قد خالفوا جمهور أهل الإسلام في قبول خبر الآحاد، والعمل به، فردوا تلك الأخبار التي جاءت من طرق الآحاد كما نقل عن أبي الحسين الخياط[٢] إنكاره حجية أخبار الآحاد، قال عبد القاهر عن الخياط: إنه "مَعَ ضلالته في القدر وفى المعدومات، مُنكر الْحجَّة في أخبار الْآحَاد، وَمَا أراد بإنكاره إلا إنكار أكثر أحكام الشَّرِيعَة، فإن أكثر فروض الْفِقْه مَبْنِيَّة على أخبار من أخبار الْآحَاد"[٣].

ويرى القاضي عبد الجبار[٤] أن خبر الآحاد لا يعلم كونه صدقاً ولا كذباً فيلجأ فيه إلى الحجة العقلية؛ التي هي الدليل الأول"فإن لم يكن موافقاً لها كان

---

(١) ينظر: موقف المعتزلة من السنة، أبو لبابة، ص٩٢.

(٢) عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، أبو الحسين الخياط، أحد متكلمي المعتزلة البغداديين، تنسب إليه فرقة منهم تدعى (الخيّاطية)، توفي نحو، سنة (٥٣٠٠) ، له عدة كتب مصنفة، منها: الانتصار، والاستدلال. ينظر: تاريخ بغداد، (٨٨/١١)، سير أعلام النبلاء، (١٣٤/١١)، لسان الميزان، (٨/٤).

(٣) الفرق بين الفرق، ص١٦٣.

(٤) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني، الأسد آبادي، أبو الحسن: قاض، أصولي. كان شيخ المعتزلة في عصره، غال في اعتزاليته، وكان ينتحل مذهب الشافعية في الفروع، وهم يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره. مات بالري سنة(٥٤١٥)، له تصانيف كثيرة، منها: تنزيه القرآن عن المطاعن، المجموع في المحيط بالتكليف، شرح الأصول الخمسة. ينظر: تاريخ بغداد، (١١٤/١١)، طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، (٩٧/٥)، لسان الميزان، (٣٨٦/٣).

الواجب أن يرد! وأن يحكم أن النبي لم يقله، وإن قاله فإنما قاله حكاية عن غيره!!"[١]، واستثنوا من تلك الأخبار ما وافق الشروط التي يحددونها، فأبو علي الجبائي[٢]، أحد علماء المعتزلة، قال: "إن الخبر لا يقبل إذا رواه العدل الواحد إلا إذا انضم إليه خبر عدل آخر، أو عضده موافقة ظاهر الكتاب أو ظاهر خبر آخر، أو عمل به الصحابة"[٣].

ونسب بعضهم إلى الجبائي أنه لا يقبل الخبر إلا إذا رواه أربعة[٤].

وعطفاً على ما تقدم، تجدر الإشارة إلى أن ثمة دافع آخر يدعم هذا الموقف الشاذ للمعتزلة من السنة النبوية، ألا وهو أن المعتزلة أقاموا نسقهم الفكري على العقل وتحكيمه تحكيماً مطلقاً، فهم لا يؤمنون إلا بما يتفق مع عقولهم وأصولهم التي بنوا عليها فكرهم، فهم قد آمنوا بالعقل "ورفعوا من شأنه، ونوهوا به أيما تنويه، وصدعوا بمبادئه، وقالوا: خلق العقل ليعرف، وهو قادر على أن يعرف كل شيء، المنظور وغير المنظور، وجعلوه الحكم الذي يحكم في كل شيء، والنور الذي يجلو كل ظلمة، حكموه في إيمانهم، وفي جميع شؤونهم الخاصة

---

(١) شرح الأصول الخمسة، ص٧٧٠.

(٢) محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، أبو علي: أحد أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة(الجبائية). له في مذهب الاعتزال مقالات وآراء مشهورة، توفي سنة، (٣٠٣هـ). ينظر: وفيات الأعيان، (٢٦٧/٤)، سير أعلام النبلاء، (١٨٣/١٤)، الوافي بالوفيات، (٥٥/٤).

(٣) النكت على كتاب ابن الصلاح، (٢٤٢/١)، تدريب الراوي، (٧١/١)، توجيه النظر إلى أصول أهل الأثر، (١٨١/١).

(٤) ينظر: قواعد التحديث، القاسمي، ص١٤٨، التبصرة في أصول الفقه، الشيرازي، ص٣١٢.

والعامة"[١]، بل نجدهم يقدمون الأدلة العقلية على الأدلة الشرعية، وجعلوا العقل في رأس الأدلة، فهم يعتقدون أنه من خلال العقل يستطيعون إدراك القرآن نفسه، وغيره من الأدلة، فالقاضي عبد الجبار يجعل العقل في المرتبة الأولى في قائمة الأدلة الشرعية، فقال مبيناً مراتب الأدلة: "أولها: دلالة العقل؛ لأن به يميز بين الحسن والقبيح، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع"[٢].

ونتيجة لتلك المنزلة العالية التي رفع المعتزلة بها العقل؛ نجد أنهم قدموه على النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فكان هو الميزان الذي يرجعون إليه، بل لم يلتزموا بشيء من مصادر الشريعة إلا بالعقل. قال ابن أبي الخير العمراني[٣]، وهو يتحدث عن المعتزلة: "ولم يلتزم القدرية بشيء من الأصول الأربعة إلا بالعقل، إلا أنهم غلوا فيه وجعلوه عمدة أمرهم، وأساس بنيانهم، وركبوا فيه طرقاً وعرة، وجعلوا ما ورد في الكتاب والسنة تابعاً لما في عقولهم، فإن وافقهم وإلا رموا به"[٤].

فكان نتاج ذلك أن رفضوا الكثير من الأحاديث النبوية عند تعارضها مع

---

(١) المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، (٥٣/١، ٥٤).

(٢) فضل الاعتزال، مرجع سابق، ص١٣٩.

(٣) يحيى بن أبي الخير (سالم) بن أسعد بن يحيى، أبو الحسين العمراني: فقيه، كان شيخ الشافعية في بلاد اليمن. له تصانيف، منها: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، البيان في فروع الشافعية، ومناقب الإمام الشافعيّ، توفي باليمن، سنة (٥٥٨هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، (٣٣٦/٧)، تهذيب الأسماء واللغات، النووي، (٢٧٨/٢)، طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، (٣٢٧/١).

(٤) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، (١١٦/١).

عقولهم القاصرة، حيث إن كثيراً من الأحاديث النبوية نقضت كثيراً من أفكارهم، وهدمت كثيراً من معتقداتهم، فاضطر المعتزلة لرد الأحاديث ورفض ما لا يتوافق مع عقولهم وأهوائهم، فكانوا كلما يعارض مبادئهم"من آيات يؤلوونها، وما يعارضها من أحاديث ينكرونها....، ولذلك فإن موقفهم من الحديث كثيراً ما يكون موقف المتشكك في صحته، وأحياناً موقف المنكر له؛ لأنهم يحكّمون العقل في الحديث لا الحديث في العقل"(١).

ولعلنا نجد فيما عُرض من أقوال لكبار المعتزلة ما يكفي للدلالة على قوة العلاقة بين فكر الطائفتين، وأن نصل إلى خلاصة مفادها: أن القرآنيين يمضون على النهج الذي سلكه المعتزلة قديماً، فهم يتفقون في أغلب المسائل، وفاق القرآنيون أسلافهم من المعتزلة، حيث جرهم جهلهم المطبق بالدين وأحكامه إلى التجرُّؤ إلى إنكار أمور كثيرة.

ومن الضروري في خاتمة هذا الكلام التنبيه على أن الفكر المعتزلي ما زال أثره موجوداً عند بعض أبناء المسلمين، قال د. الأمين الصادق: "لعل الكثيرين من أبناء المسلمين يظنون أن أفكار المعتزلة طواها الزمان، واندثرت في أعماق التاريخ، وهذا ظن لا حقيقة له، والواقع يخالفه.

فهناك الكثيرون ممن وجدوا في هذا العصر وحسبهم الناس من أهل العلم وحماة الإسلام، يمجدون أهل الاعتزال ويلتزمون نهجهم، ويدافعون عن ذلك، مستميتين في الدفاع عنهم، متبنين لآرائهم وأقوالهم"(٢).

---

(١) ضحى الإسلام، أحمد أمين، (٣/٨٥).

(٢) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، (٢/١٨٣).